كتاب (تاريخ ماردين)
للمُفتي عبد السلام المارديني
(١٧٨٥-١٨٤٣ م)
مصدراً لتاريخ الأكراد والجزيرة الفراتيّة في العهد العثمانيّ
(٢/١)

د. بدرخان علي

المُلّخص:

تتناول الدراسة بالتحليل كتاب "تاريخ ماردين" لمفتي ماردين عبد السلام المارديني (١٧٨٥-١٨٤٣ م) وتخلُص إلى أهميّته في تناول تاريخ ماردين وبريّتها في العهد العثماني والأحوال الاجتماعية والتركيبة السكانيّة لإقليم الجزيرة الفراتية، لا سيما ما سُيعرَف منها لاحقاً بـ"الجزيرة السورية"، نظراً لشغلِ المؤلِّف منصبَ الإفتاء والقضاء في مدينة ماردين، في الوقت

الـذي تنـدر فيـه التواريـخ المحليّـة فـي الحقبـة قيـد الدراسـة.

كلمـات دالّـة/ مفتاحيـة (Key Words): الأكـراد، بريـة ماردين، الجزيـرة، مفتـي ماردين، العشـائر الكرديـة، العشـائر العربية.

المقدّمة:

تتنـاول الدراسـة أهميـةَ مخطـوط (تاريـخ ماردين) للمفتـي عبدالسـلام المارديـنيّ (١٧٨٥-١٨٤٣ م) فـي تكويـن لمحـةٍ عامـة عـن القسم العلـوي مـن إقليـم الجزيـرة الفراتيـة (الجزيـرة[١]، بـلاد الجزيـرة، بـلاد الرافديـن و بـلاد مـا

١ - "سمّى العرب بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة، لأن تلك السهول العظيمة تحيط بها مياه أعالي الفرات ودجلة والأنهار التي تصب فيهما جنوبي السهول الصخرية " (لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 17)
"أما الجزيرة فإنها ما بين دجلة والفرات ... وعلى شرقي دجلة و غربي الفرات مدن وقرى تنسب إلى الجزيرة- وإن كانت خارجة عنها ،لقربها منها " الاصطخري ،المسالك والممالك ص 52، وابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 189.
والمقدسي يسمي إقليم الجزيرة باسم " آقور":
"إقليم أقور: إقليم نفيس ثم له فضل لان به مشاهد الأنبياء ومنازل الأولياء به استقرّت سفينة نوح على الجوديّ وبه سكن أهلها. وقد قسمنا هذا الإقليم على بطون العرب لتعرف ديارهم وتميّزها وجعلناه ثلاث كور على عدّة بطونهم أوّلها من قبل العراق ديار ربيعة ثم ديار مضر ثم ديار بكر وبه أربع نواح وأما ديار ربيعة فقصبتها الموصل ومن مدنها: الحديثة، معلثاى، الحسنيّة، تلّعفر، سنجار، الجبال، بَلَد، أذرَمَة، برقعيد، نصيبين، دارا، كفرتوثا، راس العين، ثمانين، وأما ناحيتها فجزيرة ابن عمر ومدنها: فيشابور، باعيناثا، المغيثة، الزّوزان. وأما ديار مضر فقصبتها الرّقة ومن مدنها: المحترقة، الرّافقة، خانوقة، الحريش، تلّ محرى، باجروان، حصنُ مَسلَمَة، ترعوز، حرّان، الرّها، والناحية سَرُوج، كفرزاب، كفرسيرين. وأما ديار بكر فقصبتها آمد ومن مدنها: ميّافارقين، تلّ فافان، حصن كيفا... الخ ". ينظر في: أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة عام 1993م، ص 137.
واسم " آقور"محرّف عن " آثور" على الأرجح. و وفق لسترنج "أصل آقور غير

بين النهرين = بين نهري دجلة والفرات = ميزوبوتاميا)[٢] ، أو الجزيرة الفراتية العليا التي توزّعت أراضيها بعد ترسيم الحدود السياسية في المنطقة بين دولتي تركيا (كردستان تركيا في جنوب شرق تركيا) والقسم الشمالي من سوريا (محافظة الحسكة والرقة). لا سيما أهمية الكتاب في العهد العثماني، نظراً لشغلِ المؤلِّف منصبَ الإفتاء والقضاء في مدينة ماردين، في الوقت الذي تندر فيه التواريخ المحليّة في الحقبة قيد الدراسة.

المؤلِّف، مُفتي ماردين:

تاريخ ماردين، هو جزء من مخطوطة كتاب واسع بعنوان (أم العبر) لمؤلّفه مُفتي ماردين، الشيخ عبد السلام بن عمر بن محمد المارديني، الذي عاش بين أعوام (١٢٠٠ه - ١٢٥٨ه/ ١٧٨٥م-١٨٤٣م). نعتمد في هذه الدراسة على تحقيق (حمدي عبدالمجيد السلفي و تحسين إبرهيم الدوسكي) للمخطوطة[٣].

عمل المارديني مُفتياً لمدينة "ماردين"، وهو سليلُ أسرة امتهنت القضاء والفتوى في ماردين لعدّة قرون، منذ تأسيس جامع التكية والزاوية بجانبه بحدود العام ١٥٠٠م، واختار حاكمُ ماردين آنذاك أحدَ أجداد المؤلف لتولية الجامع والمدرسة والزاوية. وانتقلت هذه الوظائف إلى أبنائه، ولذلك كان

واضح، ولكن يخال لنا أنه كان حيناً من الزمن اسم السهل العظيم في شمالي ما بين النهرين " (لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 114) .

٢ - الإقليم السهلي العظيم الذي أطلق عليه اليونان اسم "ميزوبوتامية، Meso-potamis (أي ما بين النهرين) ما هو إلا هبة الرافدين: الفرات ودجلة" (لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 15).

٣ - تاريخ ماردين من كتاب أم العبر، تأليف مفتي ماردين الشيخ عبد السلام بن عمر بن محمد، تحقيق وتعليق (حمدي عبد المجيد السلفي وتحسين إبرهيم الدوسكي)، دار المقتبس، بيروت – لبنان ط٢٠١٤.

رجال هذه الأسرة يعرفون بهذه الوظيفة فيقال في أحدهم: فلان بن خطيب التكية، كما يرد على لسان المؤلّف[٤]. أما ناسخ المخطوطة المتوفرة فهو أحد تلامذة المفتي (فقيه أو طالب علم)، وينقلُ عن ناسخٍ قبله هو " إبراهيم المحمدي الشرابي بن ملا أحمد المهدوب".

والمؤلف عربيٌّ مسلم. وفي تقديرنا أن العديد من الباحثين أخطأوا بالقول أن المؤلف ينتمي لعشيرة الشرابيّة العربية[٥]، فقد خلطوا بين نَسَب المؤلف (مفتي ماردين) و نَسَب ناسخ المخطوط (الشرابي).

وكان بالإمكان الاكتفاء بترجمة المؤلّف بالقدر الوارد أعلاه، غير أنني أرى في إضاءة أوسع حول نَسَب المؤلّف فائدةً لموضوع البحث وسياقه؛ أي التكوين التاريخيّ وتعدد الأعراق والهويات في منطقة ماردين وما حولها.

لو كان المفتي شرابيّاً، كما كتب العديد من الباحثين الكرد خصوصاً، لوجدنا إشارات لنَسَبه في متن كتابه سيما أنه أدرج نَسَبه حتى أحد أجداده "الحاج عبد القادر"، أو أن الناسخ الذي ذكر عشيرته (الشرابية) كان سيفعل الشيء نفسه بالنسبة للمؤلف كذلك. ثم أن عشيرة الشرابية العربية لم تكن تتواجد في عموم الجزيرة الفراتية في الزمن الذي يتحدث فيه المفتي عن جدّه ، حدود العام١٥٠٠م[٦]. وعلى الأرجح هو ليس كرديّ الأصل أو في

٤ - من مقدمة التحقيق ص ٧-٨.

٥ - عشيرة الشرابية هي: إحدى لواحق قبيلة «جبور» العربية. أحمد وصفي الزكريا، عشائر الشام، دار الفكر-دمشق، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، ص ٦٤٤. وبحسب أوبنهايم «يقول الشرابيين أنهم والجبور من أصل واحد» ماكس فون أوبنهايم، البدو، تحقيق وتقديم: ماجد شبر، ترجمة محمود كبيبو، دار الوراق للنشر، لندن، عام 2007، الجزء الأول، ص ٣٧٨.

٦ - حول هجرة الشرابيين إلى الجزيرة الفراتية وروايتهم عن تاريخهم... ينظر أوبنهايم (المصدر السابق) ... والمؤلف يُشكّك في روايات الشرابيين عن نسبهم

إدراكه لهويتّه بالتأكيد، أو من خلال مُجمل "خطابه" في الكتاب ونُعُوته التحقيريّة غير اللائقة للأكراد بعض الأحيان، في سياق توصيفاته اللاذعة لمختلف العشائر الكردية والعربية، وسنعود لاحقاً إلى هذه الجزئية.

وربما يجوز الافتراض أن المفتي عبد السلام الماردينى ينتمي إلى إحدى الأسر العربية العريقة التي وفدت واستقرت في مدينة ماردين أثناء حكم "الأراتقة"، الذين شجّعوا العلماء واستقطبوهم من أنحاء العالم الإسلامي للإقامة في ماردين. توصّلنا إلى هذا الافتراض من خلال تصفّح سير بعض الأعلام الماردينيّين منشأً، أو الذين توافدوا على ماردين في حقب مختلفة. فوجدنا توارد أسماء (عبد السلام ومحمد) مع مهنة القضاء والتعليم الديني، في ترجمة عائلة أصلها من القدس الشريف؛ ف "محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبدالساتر الأنصاري الماردينى، أبو عبد الله فخر الدين من أئمة عصره. ولد بماردين ونشأ فيها. كان أصله من القدس الشريف. ويقال أن الملك الأرتقي نجم الدين إيلغازي الأول صاحب ماردين (ت ١١٢٢م/٥١٦ه) لما فتح بيت المقدس بعث بجد فخر الدين المسمى بعبد الرحمن إلى ماردين وعاش فيها مع أبنائه في بيت اشتهر بالميل إلى العلم والمعرفة تجلى في أكثر ولده ومن بينهم عبد السلام والد الإمام فخر الدين. وتوصل فخر الدين في وقت من الأوقات أن يصبح قاضياً لماردين لفترة طويلة" وعن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد الساتر الأنصاري الماردينى نقرأ أنه" اشتهر في عصره وكان من الفقهاء والأصوليين. جيد المعرفة متقناً للعربية، عالماً بالأحكام. عين قاضياً بماردين "كما عين قاضياً بدنيسر ويقال أنه قد تقلب في عدة وظائف مقرباً من الحكام."

وتاريخهم، وخصوصاً تحدرهم من السادة الطفيحيين. ويرى أن هذه الروايات تهدف إلى «اختلاق أنساب لقبيلة تفتقر إلى تاريخ « ص ٣٧٨.

نفترض أن ما ورد أعلاه يشير لتحدّر مفتي ماردين من هذه العائلة المقدسيّة الأصل، الماردينيّة نشأة، العاملة بالتوارث في القضاء الديني والإفتاء والفقه[٧].

وطالما لم يشير المؤلف لأصوله العرقيّة، وهو يتحدّث مراراً عن العشائر وأصولها وأعيان ماردين وعشائرهم وأنسابهم، فلا نستطيع نفي أو تأكيد أنه ينتمي لعائلة ذات أصول كرديّة (أو تركمانية) قديمة تعرّبت منذ زمن، حيث شهدت المنطقة بالفعل تكريد عوائل وعشائر تركمانية وعربية وتعريب أكراد وتركمان، أما عمليات التتريك فكانت قد ازدهرت لقرون متواصلة من جرّاء هجرات وغزوات القبائل التركية من موطنها الأصلي (تركستان)، و توقفت مع مطلع القرن التاسع عشر[٨].

إنّ هذه العمليات التاريخية التي جرت في سياق زمني طويل مُتعدّد الطبقات على مدار قرون في إقليم الجزيرة، من جرّاء تداخل الإثنيات والقبائل والأعراق والأديان وهجراتها والحروب والغزوات وتبدّل السلطات والحكام، تتجلّى نتائجها بوضوح في مدينة ماردين وحولها (حصن كيفا/ حسنكيف، سعرت/ إسعرد، ميافارقين/ فارقين ..)، ومن خلال وجود عشائر مختلطة عربية- كردية (كـ"المحلّميّة") أو تمازج اللغات و اللهجات والمفردات.

---

٧ - حول هذه العائلة ينظر: «د.حسن شميساني ، مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط١ ١٩٨٧م، ص ٣٨٣.

٨ - يقول» أوبنهايم» أنه مع مطلع القرن التاسع عشر «التركمان فغالباً جرى امتصاصهم بالكامل تقريباً في الجزيرة بين منطقة الأكراد وشمّر مع مطلع القرن التاسع عشر بينما حافظوا على أنفسهم في أرض شرق دجلة، وخاصة في مدنها «. البدو، مصدر سابق، ص ١٠٨

كذلك ثمة أيضاً العديد من العوائل والأسر التي تكنّى بـ "ماردينية" (أو ماردنلي/ ماردنلية في اللفظ المحلّي) نسبة للمدينة وحسب، بصرف النظر عن "رابطة الدم".

وباختصار يمكن القول أن المؤلف "ماردينيٌّ" ينتمي إلى بيئة عرب ماردين المَدِينيّة، بصرف النظر عن "رابطة الدم".

كتاب تاريخ ماردين:

كتاب "تاريخ ماردين" يندرجُ في صنف التواريخ المحليّة، إذ يؤرّخ لمدينة "ماردين" وتوابعها، وأهلها وسكانها وانقلاب أحوالها بتغيّر الحكام.

ومع أن بحثنا هذا ليس تقويماً للكتاب أو مراجعة شاملة له، يسعنا أن نورد ما لاحظه أحد الباحثين أن مخطوطة تاريخ ماردين فيها من "المعلومات الكثيرة والمتنوعة لكن ليس في مادتها سوى تكرار لما أورده أصحاب المصادر الأساسية"[٩]، وهو يعني الحقب التاريخية السابقة لعصر المفتي. وكذلك يوجّه المؤرخ عماد الدين خليل، وهو مؤلف دراسة موسّعة عن "الأراتقة" الذين حكموا ماردين لفترة طويلة، نقداً أشدّ للمارديني بالقول: أما المارديني (ت ١٢٥٩هـ) فيقدّم في (تأريخ ماردين) روايات مفصلة واسعة عن ظهور الأراتقة وعلاقتهم بالسلاجقة، والأحداث التي مرت ببني أرتق إثر وفاة جدهم. وتتميز هذه الروايات جميعاً بالطابع القصصي، الذي يعتمد على الخيال، دون أية محاولة للقيام بتمحيص جدّيّ للحقائق، وما وقع فيه من أخطاء لا يحتاج إلى نقاش لشدة بعده عن الحقائق الأساسية والمسلمات في تأريخ الأراتقة، فضلاً عن أنه حوّر في

٩ - د. عبد الله العلياوي، كوردستان في عهد المغول، دون ناشر، 2005 م، ص 13.

بعض الأسماء، وحشر أسماء جديدة لا نصيب لها من الواقع. ويضيف "واضح أن رغبة المؤلف في تمجيد حكام ماردين عامة، والأراتقة خاصة، دفعته إلى هذا الإغراق في مديح هذه العائلة (الأراتقة)[١٠].

ورغم أن هذه الملاحظات النقديّة حول الكتاب وما يعوزه من دقّة ومنهجية تقلّل من أهميته العلميّة فيما يخصّ حقب مختلفة من العصر الوسيط، إلا أنه بالنسبة لموضوعنا والحقبة التي نعتني بها يبقى ذو أهمية كبيرة، فالمؤلف يسجّل مشاهداته الشخصيّة وما سمعه عن قرب من حوله في مدينته "ماردين"، ومُطّلع مباشرة على أحداث عصره بحكم وظيفته في الإفتاء والقضاء، سيما في ظل شحّ مصادر أخرى بين أيدينا. فهو تأريخ محليٌّ نادر لمنطقة ماردين وبريّتها. ويقتضي البحث هنا الإشارة إلى مصادر أخرى من الحقبة موضع البحث استكمالاً للصورة أو استدراكاً لبعض المعلومات.

يبدأ الكتاب بفصل من تسمية ماردين نسبة لابن أحد ملوك الفرس، ومعلومات عامة عن ماردين وبريّتها، يليه (فصل في استيلاء الإسلام على قلعة ماردين)، ثم حكم الدولة المروانية- الدوستكية (الكردية) بعد الفتح الإسلامي. يقول المؤلف: "وكانت ماردين تحت حكم الأكراد ٢٩ سنة"[١١]، وهو يعني هنا فترة خضوع ماردين لحكم الإمارة الدوستكية- المروانية الكردية، وليس عمر الإمارة كاملاً، حيث دامت تلك الإمارة لأكثر من قرن بقليل.

وفي موضوع المدّة الزمنيّة لتبعية ماردين للإمارة المروانية الكردية،

---

١٠ - عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص ٢٩-٣٠.

١١ - مفتي ماردين، ص٦٣

توصّل باحث في تاريخ ماردين إلى أن أنه في حقبة حكم الدولة المروانية لإقليم دياربكر فإنّ "بلاد ماردين تأرجحت بين السيادتين العربية العقيلية والكردية المروانية"[١٢].

ثم (فصل في ذكر أصل الأكراد وبلادهم) يعيدُ فيها الروايات المتداولة عن أصل الأكراد في كتب المؤرخين العرب، ويكفّر أبناء الطائفة اليزيدية ويكرر الفتاوى التي صدرت بحقهم في العصر العثماني من المشايخ ورجال الدين، وبينهم مشايخ أكراد. يقول متكلماً عن اليزيديين: (والحاصل أنهم لا كتاب لهم ولا دين، وهم كافرون بالاتفاق، يحلّ للسلطان مالهم ودمهم حتى يرجعوا عما هم فيه من الضلال، كما أفتى بذلك محمد البرقعلي الكردي وغيره من العلماء)[١٣]. ثم (فصل في ذكر الملوك الأرتقية)، والأراتقة[١٤] هم أسرة من سلالة قبائل الغزّ التركمان الذين ساهموا بفاعلية في ظهور السلاجقة الأتراك، الذين قضوا على أول إمارة/ سلطة تحكمها أسرة كردية في الجزيرة الفراتية – دياربكر خلال العصور الوسطى، وهي الإمارة/

---

١٢ - د. حسن شميساني، مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة ١٥١٥م/٩٢١ هـ، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط١ ١٩٨٧م. ص١١٣-١٢٩.

١٣ - مفتي ماردين، ص ٧٢. والبرقعلي الكردي، كما جاء في شرفنامه» مولانا محمد برقعلي الذي اشتهر بين العلماء والفضلاء بأنه زعيم الفقه والحديث، وقد نشأ هذا العالم في مدينة بدليس..» نفس المصدر.

١٤ - نسبة إلى جدّهم «أُرْتُق ابن أَكْسَك (أو أكسب حسب ابن الأثير) التركماني. ويلقب بظهير الدين، ينتمي إلى قبيلة الدقر (doger) التركمانية، وهي إحدى البيوت الكبيرة التي تنتمي إلى الغز، والتي كانت زعامتها قد انتها إلى أرتق، وكانت هذه القبيلة من جملة القبائل التركمانية، التي انتظمت في صفوات القوات السلجوقية.. ومن المؤكد إذاً أن قبيلة (الدقر) كانت ضمن القبائل التركمانية العديدة التي اشتركت في الزحف السلجوقي وبناء كيان الدولة السلجوقية. عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص ٥٧-٥٨. ابن الأثير/ الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٧، ج٩، ص ٢٠٩.

الدولـة المروانيـة (الدوستكية) وعاصمتهـا "ميافارقيـن"[١٥] التـي حكمـت أعالـي الجزيـرة الفراتيـة- إقليـم ديـار بكـر، بيـن أعـوام (٣٧٢هـ / ٩٨٢ م) حتـى (سنة (٤٧٨ هـ / ١٠٨٦ م)[١٦].

ثـم (فصـل فـي ذكـر دولـة الملـوك القره قوينليـة) وبعدهـا (فصـل فـي ذكـر دولـة الآق قوينليـة). و(القـره قوينليـة والآق قوينليـة) طائفتـان مـن التركمـان حَكَمتـا المنطقـة وتصارعتـا، بعـد "مغـادرة مسـاكنهما القديمة ببلاد تركستان"[١٧]، ثـم (فصـل فـي ذكـر خـروج شـاه اسـماعيل) عـن توسّـع الصفويّيـن حتـى حكـم ماردين. ثـم الفصـل الأخيـر (فصـل فـي ذكـر حـكام ماردين منـذ دخلـت تحـت حكـم آل عثمـان) وهـو مصـدر أهميـة الكتـاب، للدقّـة النسـبية فـي المعلومـات

١٥ - «ميّافارقيـن أشـهر مدينـة بديـار بكـر». ياقـوت الحموي...ويضيـف «وكان رئيس هذه الولاية رجلا يقال له ليوطا فتزوج بنت رئيس الجبل الذي هناك يسكنه فـي زماننـا الأكـراد الشـامية «(معجـم البلـدان، المجلـد الخامـس، ص ٢٣٥-٢٣٦) ... بلـدان الخلافـة الشـرقية ... وقـد اتخذهـا المروانيـون الأكـراد عاصمـة لدولتهـم.

١٦ - بشـأن الإمـارة المروانيـة فـي ميافارقيـن وديـاربكـر والجزيـرة، ينظـر المصـدر الأساسـي «تاريـخ ميافارقيـن وآمـد» المعـروف بتاريـخ الفارقـي. تحقيـق، د. بـدوي عبـد اللطيـف عـوض، القاهـرة، ١٩٥٩م.
وكذلـك «الدولـة الدوسـتكية فـي كردسـتان الوسـطى» مـن جزأيـن تأليـف عبـد الرقيـب يوسـف. ومـواد ابـن الأثيـر المتعـددة فـي كتابـه «الكامـل فـي التاريـخ». وكذلـك محمـود ياسـين أحمـد التكريتـي «الإمـارة المروانيـة فـي ديـار بكـر والجزيـرة»، رسـالة ماجسـتير جامعـة بغـداد عـام ١٩٧٠م

١٧ - قبيلتـا القره قوينلـو والآق قوينلـو «هاجرتـا إلـى بلاد أذربيجان خـلال عهد الخان المغولـي أرغـون خـان ثـم تحولـت قبيلـة القره قوينلـو إلـى نواحـي ارزنجـان وسـيواس، واسـتفحل بهـا أمرهـا وتحولـت قبيلـة الآق قوينلـو إلـى بـلاد دياربكـر واسـتولت علـى الملك والسـلطنة بهـا» و»قدومهـا كان حصيلـة غـزوات وهجـرات الأقـوام والشـعوب التركيـة، السـلاجقة، التركمـان، القبائـل التركيـة والمغوليـة التـي انضـوت تحـت لـواء جنكيزخـان أو التـي فـرت مـن وجهـه و زحفـت شـرقاً» د. زرار صديـق توفيـق، كردسـتان فـي العهـد الجلائـري (٧٣٧-٨١٤هـ/١٣٣٧-١٤٤١م)، منشـورات جامعـة دهـوك، ٢٠٠٩، ص٩٤ و ٩٦.

فـي الفتـرة التـي عاشـها المؤلـف أو السـابقة لعصـره بقليـل.

بلاد الأكراد:

يحـدّد المؤلـف حـدود بـلاد الكـرد كمـا يلـي: (ولنرجـع إلـى ذكـر الأكـراد، أمـا بلادهـم ومسـاكنهم فهـي مـن بحـر هرمـز (يقصـد مضيـق هرمـز فـي الخليـج العربـي/ الفارسـي) إلـى نواحـي ملاطيـة ومرعـش طـولاً، ومـن بـلاد الإيـران إلـى الموصـل وعـراق العـرب عرضـاً). وهنـا نسـمع صـدى مـا دوّنـه المـؤرخ الكـردي شـرفخان البدليسـي عـن حـدود كردسـتان، ومـن المحتمـل أنّ المؤلـف أطلـع علـى "شـرفنامه"، وكذلـك تحديـد الرحالـة التركـي أوليـا جلبـي لبـلاد الأكـراد، ويتوافـق مـع مـا أورد أميـرٍ كـردي معاصـر نسـبياً للمفتـي الماردينـي. (الفقـرات اللاحقـة)

فبحسـب شـرفخان البدليسـي الـذي وضـع "شـرفنامه" بالفارسـية بيـن أعـوام ١٥٩٧-١٥٩٩ م: "يبتـدأ حـد بـلاد الكـرد (كردسـتان) مـن سـاحل بحـر هرمـز (=الخليـج الفارسـي/العربي) المتفـرع مـن المحيـط (الهنـدي(علـى خـط مسـتقيم ممـدود مـن هنـاك إلـى آخـر ولايتـي ملطيـة ومرعـش[١٨]، فيكـون الجانـب

١٨ - ملطيـة ومرعـش فـي آسـيا الصغـرى (ضمـن أراضـي جمهوريـة تركيـا حاليـاً). ومـن جملـة الثغـور الإسـلامية والحـدود الشـمالية لبـلاد الشـام، وكانـت ميدانـاً للمعـارك بيـن المسـلمين والبيزنطييـن فـي العصـور الاسـلامية حتـى اسـتولى عليهـا السـلاجقة بشـكل نهائـي.

* «مَرْعَـش مدينـة بآسـيا الصغـرى فـى جمهوريـة تركيـا، بالقـرب مـن بـلاد الـروم. تبلـغ مسـاحتها نحـو (11207) كـم٢، وكانـت مركـزًا تجاريًّـا كبيـرًا للتجـارة الكرديـة.» الموسـوعة الموجـزة فـي التاريـخ الإسـلامي نقـلاً عـن: موسـوعة سـفير للتاريـخ الإسـلامي. ج ١١ ص ٢١٠.

وفـي معجـم البلـدان لياقـوت الحمـوي (مَلَطْيَـةُ: بفتـح أولـه وثانيـه، وسـكون الطـاء، وتخفيـف اليـاء، والعامّـة تقولـه بتشـديد اليـاء وكسـر الطـاء، هـي مـن بنـاء الإسـكندر وجامعهـا مـن بنـاء الصحابـة: بلـدة مـن بـلاد الـروم مشـهورة مذكـورة تتاخـم الشـام وهـي

الشمالي لهذا الخط ولايات: فارس، والعراق العجمي[١٩]، وأذربيجان، وأرمينية الصغرى، وأرمينية الكبرى[٢٠]. ويقع في جنوبه العراق العربي، وولايتا الموصل وديار بكر"[٢١].

للمسلمين) معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١٩٢.

ومَرْعَشُ: بالفتح ثم السكون، والعين مهملة مفتوحة، وشين معجمة: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني ...) معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١٠٧.

«وهي مدينة من أعمال حلب عامرة ولها مياه وزروع وأشجار، ولها حصن منيع، وخرج منها جماعة من أهل العلم والعبادة منهم حذيفة المرعشي. وقد ذكرها أبو زيد البلخي في كتابه فقال : والحدث ومرعش هما مدينتان عامرتان، فيهما مياه وزروع وأشجار كثيرة وهما ثغران." ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د. سهيل زكار الناشر: دار الفكر. ج1 ، ص 235 . وقد أشار المؤرخ ابن العديم (توفي 660ه/ 1262م) إلى تواجد الأكراد في نواحي مرعش في حديثه عن مدينة الحدث (التي -وفقه- تبعد عن مرعش ثمانية فراسخ (نحو 45 كيلومتراً) وتسمياتها الثلاثة عند الأرمن والأكراد والعرب: بقوله (باب في ذكر الحدث: وتعرف بالحدث الحمراء لحمرة أرضها، وهي مدينة كثيرة الماء والزرع، وحولها أنهار كثيرة وخرب حصنها وبقيت المدينة، وساكنوها في زمننا هذا أرمن أهل ذمة، وهي في أيدي المسلمين، وكان ينزل في مروجها الأكراد بأغنامهم، وتسميها الأرمن كينوك، وتسميها الأكراد الهتّ، والعرب تسميها الحدث..) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج1، ص 239.

" وموضعها في شمالي حلب وتبعد عنها 44 ساعة.. ولواء مرعش في شمالي حلب قبلة لواء حلب" كامل الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، دار القلم، حلب الطبعة: الثانية، 1419 هـ. ج1، ص447 .

١٩ - العراق العجمي هو شرق إقليم الجبال. و "الجبال: هي المنطقة الواسعة الممتدَّة من سهول العراق والجزيرة في الغرب إلى مفازة فارس في الشرق، وينقسم هذا الإقليم إلى قسمين: الصغير وهو كردستان في الغرب، والكبير وهو عراق العجم في الشرق، (لسترنج: "بلدان الخلافة"، ص 220- 221)

٢٠ - «إرمينية الكبرى خلاط ونواحيها وإرمينية الصغرى تفليس ونواحيها» معجم البلدان لياقوت الحموي، مجلد١، ص ١٦٠

٢١ - شرفنامه، ألفه بالفارسية شرفخان البدليسي، الجزء الأول في تاريخ الدول

يجدر بالقول هنا أن شرفخان البدليسي حين يضعُ في هذا التحديد (ديار بكر) حدّاً لجنوب كردستان لا يعني أنه يضع (ديار بكر) خارج كردستان / بلاد الأكراد؛ إذ أن قراءة الكتاب وسرده لسِيَر الإمارات والزعامات الكردية في إقليم (ديار بكر) تُبدّد هذا "اللبس" بسرعة. فـ"كردستان" أو"إقليم الجبال" لم تكن بلاد الاكراد الوحيدة في أيّ وقت من الأوقات، وإن كانت مهداً أساسياً لهم[٢٢]. و نودّ القول هنا باختصار أن انتشار الأكراد لم يقتصر في أي وقت على "كردستان" فقط (بالمعنى الإداري على نحو خاص) أو إحدى مرادفاتها (الجبال، جبال الأكراد، قوهستان/ كوهستان بالفارسية، ميديا/ مادي عند المؤرخين اليونانيين)، وأنّ "كردستان" أو جبال الأكراد أو "مصايف الأكراد ومشاتيهم"[٢٣] لم تكن بلاد الأكراد الوحيدة في أيّ وقت من الأوقات، بل إحدى مناطق تواجد الأكراد الرئيسية إلى جانب (شهرزور، الجزيرة الفراتية، أذربيجان، أرمينيا، فارس وخوزستان)[٢٤]

والإمارات الكردية، ترجمة محمد علي عوني، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، دار الزمان، دمشق - ٢٠٠٦، ص٥٩.

٢٢ - سنحاول التطرق لهذا الموضوع في مادة خاصة مستقلّة مستقبلًا.

٢٣ - «مصايف الأكراد ومشاتيهم» رسمها الجغرافي ابن حوقل النصيبني على خارطته لإقليم الجبال. ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، ط عام ١٩٩٢، ص ٣٠٥.

٢٤ - التنبيه والإشراف، لأبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (المتوفى: ٣٤٦ه. تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي. الناشر: دار الصاوي – القاهرة. ص ٧٨.

وقد تناول باحثون مجددون مناطق انتشار الأكراد منذ صدر الإسلام والعصر العباسي. فبحسب المؤرخ الكردي د. زرار صديق توفيق، الذي بحث هذا الموضوع بالتفصيل في أكثر من مؤلف له استناداً على المصادر الأصلية العربية والفارسية، أن «بلاد الأكراد قسمت إدارياً خلال العصر العباسي بين أقاليم: الجبال وشهرزور، الجزيرة، آذربيجان، أرمينيا، كما أصبح إقليم فارس مركزاً لأكبر تجمع كردي منذ العصر الساساني وإبان القرون الأولى للهجرة، فضلاً عن إقليم خوزستان». الكرد

هذه الأقاليم التي عاشت فيها أقوام وشعوب وطوائف دينية عديدة، بخلاف غربي إقليم الجبال، الذي كان معقلاً كردياً غالباً على نحو شبه تام.

وكان المؤرّخ العثماني خوجه سعد الدين أفندي (توفي ١٥٩٩م) الذي سبقَ شرفخان بقليل، قد اعتبر إقليم "ديار بكر" قبل الضم/ الفتح العثماني "منطقة معظم سكانها من الأكراد"[٢٥]. آخذين بعين الاعتبار هنا أن إقليم "ديار بكر" كان منذ الغزو المغولي يقصد به كامل إقليم الجزيرة الفراتية بشكل تقريبي فـ"منذ العصر المغولي ساد استعمال تسمية ديار بكر على حساب الديارين الأخريين (ديار ربيعة، ديار مضر) وكان المقصود بها عند أغلب البلدانيين والمؤرخين إقليم الجزيرة بأسره، ويحدّ إقليم ديار بكر من الشمال أرمينيا ومن الغرب بلاد الروم ومن الجنوب بلاد الشام والعراق العربي ومن الشرق أذربيجان وكردستان وانحصر ذكر مصطلح الجزيرة عند البلدانيين التقليديين الذين نقلوا معظم معلوماتهم عن مؤلفات البلدانيين الأوائل"[٢٦] وكانت الموصل- وليس آمد كما في العصور السابقة

في العصر العباسي، أ.د. زرار صديق توفيق، ط١ ٢٠١٨، دار مكرياني للطباعة والنشر أربيل- إقليم كردستان العراق. وفي: د. زرار صديق توفيق، كردستان في العهد الجلائري (٧٣٧-٨١٤هـ/١٣٣٧-١٤٤١م)، منشورات جامعة دهوك،٢٠٠٩، ص ٢٣-٥٠.

وينظر كذلك: الدراسة الهامة للباحث محسن سيدا،»الكرد في الجزيرة حسب المصادر العربية الإسلامية، المنشورة في مجلة الحوار، العدد /٦٩ /، ٢٠١٦. قامشلي - سوريا « وفي موقع مدارات كرد.

كذلك ينظر: د. حكيم أحمد خوشناو، الكورد وبلادهم عند البلدانيين والرحالة المسلمين (٢٣٢-٦٢٦هـ/ ٨٤٦-١٢٢٩م) دار الزمان ، دمشق- سوريا، ط١، ٢٠٠٩. وكذلك، د. فائزة محمد عزت، الكرد في إقليم الجزيرة وشهرزور في صدر الإسلام 132-16هـ/٦٣٧-٧٤٩م، مطبعة خاني- دهوك، دون تاريخ نشر.

٢٥ - نقلًا عن فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني- رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٩.

٢٦ - د. زرار صديق توفيق، كردستان في العهد الجلائري (٧٣٧-٨١٤هـ/١٣٣٧-

[٢٧]- عاصمة ولاية دياربكر في زمن الامبراطورية الإيلخانية المغولية [٢٨]. وهذا هو السبب وراء تعيين ابن خلدون (توفي ٨٠٨هـ /١٤٠٦م)، وربما انفراده من بين مؤرخي العصر الإسلامي الوسيط كونه عاش فترة الغزو المغولي، مدينةَ الموصل "كرسياً" (أي عاصمة أو قصبة) لـ" ديار بكر"[٢٩]

أما الرحالة العثماني أوليا جلبي (١٦١١-١٦٨٤/١٦٨٥م)، الذي قرأ شرفنامه، فجاءت حدود كردستان لديه على هذا النحو: "كردستان بلاد شاسعة. وهي تضم أرضروم، وان، هكاري، جزرة، العمادية، الموصل، شهرزور، حرير، أردلان، بغداد، درنه ودرتنك. إن هذه الأرض التي تمتد ٧٠ مرحلة[٣٠] لغاية الوصول إلى البصرة تُعد بمثابة أرض كوردستان

١٤٤١م)، منشورات جامعة دهوك،٢٠٠٩، ص٤٢.

٢٧ - «وأما ديار بكر فقصبتها آمد ومن مدنها ميّافارقين، تلّ فافان، حصن كيفا.."، المقدسي البشاري في أحسن التقاسيم. انظر الهامش رقم ١ أعلاه. آمد: قصبة ديار بكر، وهي في غربي دجلة أي يمينه. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 140.

٢٨ - «قسّم هولاكو إمبراطوريته الإيلخانية إلى ست وحدات إدارية، تابعة للعاصمة مراغة... وبخصوص العراق بحدوده الحاضرة فقد قسم إلى ولايات ثلاث وهي: ولاية عراق العرب وعاصمتها بغداد، وولاية دياربكر وعاصمتها الموصل، وجزء من ولاية بلاد الجبل..أما ولاية ديار بكر فقد قسمت إلى عدة أعمال، وكل ما وقع منها ضمن حدود العراق الحاضر الموصل وسنجار والعمادية وإربل..» ، أ.د. علاء محمود قداوي ،تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو، دار غيداء، عمان، ط١، عام ٢٠١٢، ص ١٢-١٣.

٢٩ - "وديار بكر وكرسيها الموصل، ومن مدنها: ميافارقين، نصيبين، سنجار، أسعرد، دبيس، حران، الرها، جزيرة ابن عمر". ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص 1154، بيروت دار الكتاب اللبناني 1978م.

٣٠ - "في البلاد العثمانية، فإن المرحلة تساوي 8 فراسخ عثمانية. وبما أن الفرسخ العثماني يساوي 5.685 كيلومترات، فإن المرحلة العثمانية تساوي: 8*5.685= 45.48 كيلومتراً". نقلاً عن: محمود فاخوري وصلاح الدين خوام، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية وما يعادلها بالمقادير الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت

الصخرية(كوردستان و سنكستان)... ولولا وجود ستمائة من العشائر والقبائل الكوردية التي تُشكّل سداً قوياً بين عراق العرب والعثمانيين لكان غزو الإيرانيين قوم العجم) للأناضول (ديار الروم) أمراً يسيراً جداً. إن عرض كوردستان ليس كبيراً بقدر طولها. فعرض كوردستان من حدها الشرقي مع إيران إلى حدها الغربي- أي من أراضي حرير وأردلان إلى مناطق الشام وعراق العرب، التي هي حلب- يبلغ ما بين ٢٠ و ٢٥ مرحلة، وهي تبلغ ١٥ مرحلة في أضيق مناطقها"[٣١].

كما نجد تحديداً مشابهاً من قبل أمير كرديّ غير شهير (من سلالة أمراء منطقة شروان- شمال غربي جزيرة بوطان) مُعاصر لمفتي ماردين، عُثر على مخطوط له، هو الأمير صالح بك بن خان بداق الشيرواني (توفي بعد ١٨٢٤م)[٣٢]، استناداً إلى تحديد شرفخان البدليسي السابق بقوله: "ابتداء إقليم كردستان من طرف بحر هرمز إلى مرعش، وشمال فارس عراق، وعجم آزربيجان، وأرمن صغرى، وأرمن كبرى، وجنوب عراق عرب، وموصل، وديار رقة، و ديار بكر، والبستان " [٣٣] ..... **(يتبع)**

لبنان، ط1 2002، ص 156.

٣١ - هاكان أوزأوغلو، أعيان الكورد والدولة العثمانية (هويات متطورة و ولاءات متنافسة و حدود متحولة)، ترجمة عن الإنكليزية: أ.د. خليل علي مراد.من مطبوعات الأكاديمية الكوردية في أربيل، 2016، ص56. جدير بالذكر أن مؤلف الكتاب ينقل عن المخطوطة الأصلية لسياحتنامه لمؤلفها أوليا جلبي. والباحث يقول "نحن نعلم أن أوليا جلبي قد قرأ شرفنامه، ولذا ليس غريباً أن يتداخل تعريفه لكوردستان مع تعريف شرفخان) ص 57.

٣٢ - الأمير صالح بك بن خان بداق الشيرواني، تاريخ الأنساب مباحث في تاريخ إمارة شيروان، تحقيق وتعليق تحسين إبراهيم الدوسكي،دار المقتبس، بيروت- لبنان، ط1 عام 2014 ، ص 50 .

٣٣ - البستان: «قضاء البستان من أعمال لواء مرعش". كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب. ص 447. وتُعرف كذلك ب" البستين".